



«تضع البشرية بالضرورة فقط تلك المعضلات امامها التي يمكن ان تحملها، لأن المعضلة نفسها تظهر حينما تكون الشروط المادية لحلها قد توفرت او تكون في عملية التكون»
ماركس

أوراق نيسان - ٢

لينين

الزراعية والبرنامج الزراعي، إلا انه من فادح الخطأ أيضا أن ننسى الواقع الذي يبين لنا انه حدث اتفاق، أو، إذا استعملنا تعبيراً أدق، ذات صفة حقوقية اقل، وذات صفة اقتصادية وطبقية اكبر، حدث تعاون طبقي بين البرجوازية والفلاحين. عندما يكف هذا الحدث عن أن يكون واقعا، وعندما يفصل الفلاحون عن البرجوازية، ويأخذون الأرض غصبا عنها، ويأخذون السلطة غضبا عنها، عند ذلك ستنتفتح مرحلة جديدة من الثورة البرجوازية الديمقراطية، مرحلة سنتحدث عنها بوجه أخص. إن الماركسي الذي تنسيه إمكانية هذه المرحلة المقبلة واجبه الآن، والفلاحون يتفقون مع البرجوازية، إنما يكون برجوازيا صغيرا؛ إذ انه بالفعل يدعو البروليتاريا إلى الثقة بالبرجوازية الصغيرة («هذه البرجوازية الصغيرة، هذه الجماهير الفلاحية، ينبغي لها أن تنفصل عن البرجوازية، في نطاق الثورة البرجوازية الديمقراطية بالذات»).

إن «إمكانية» مستقبل باسم طريف لا يبقى فيه الفلاح في ذيل البرجوازية ولا يبقى فيه الاشتراكيون- الثوريون، والسادة تشخيذه وتسيريتيلي وستيكولوف واضرابهم أذبالا للحكومة البرجوازية، إن «إمكانية» هذا المستقبل الباسم ستنسيه الحاضر الكئيب الذي ما يزال فيه الفلاح في ذيل البرجوازية، وما يزال فيه (الاشتراكيون- الثوريون والاشتراكيون- الديمقراطيون) يقومون بدورهم كذيل للحكومة البرجوازية، كمعارضة «لصاحب الجلالة» لفوف. إن هذا الشخص المفترض سيشبه لويس بلان عذبا، ونصيرا معسولا من أنصار كاو تسكي، ولن يشبه في شيء الماركسي الثوري. ألا نتعرض لخطر الوقوع في الذاتية، في رغبة «الفوز» من فوق الثورة البرجوازية الديمقراطية، غير المنتهية- والتي لا تزال مشوبة بميزات الحركة الفلاحية- إلى الثورة الاشتراكية؟ إذا قلت: «لا نريد القيصر، بل نريد حكومة عمال»، تعرضت لهذا الخطر، ولكني لم اقل هذا، وإنما قلت شيئا آخر قلت انه لا يمكن أن يكون ثمة في روسيا حكومة (باستثناء الحكومة البرجوازية) غير سوفيينات نواب العمال والأجراء الزراعيين والجنود والفلاحين، وقلت انه لا يمكن أن تنتقل السلطة اليوم في روسيا، من غوتشكوف وفوف، إلا إلى هذه السوفيينات التي يسيطر فيها بالضبط الفلاحون والجنود، والبرجوازية الصغيرة، هذا إذا استعملنا تعبيراً علمياً، ماركسياً، إذا

ينبغي أن نعرف كيف نكيف المخططات وفقا للحياة، لا أن نردد كلمات فقدت معناها، حول «ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين» بوجه عام. لنتناول المسألة من جهة أخرى لنوضحها على وجه أفضل. ينبغي على الماركسي ألا يبتعد عن ميدان التحليل الدقيق للعلاقات بين الطبقات.

إن البرجوازية تتسلم زمام السلطة، وسواد الفلاحين، أليسوا أيضا برجوازية من فئة أخرى، من نوع آخر، من طابع آخر؟ من أين ينجم أن هذه الفئة لا تستطيع أن تصل إلى السلطة «منجزة» الثورة البرجوازية الديمقراطية؟ لماذا يستحيل ذلك؟ هكذا غالبا ما يفكر ويحلل البلاشفة القدماء. واجيب: إن هذا ممكن تماما، بيد انه يترتب على الماركسي، عند تقييم الحقبة الراهنة، أن ينطلق من الواقع، لا من الممكن. والحال إن الواقع يبين لنا الحدث الفعلي التالي وهو ان نوابا فلاحين وجنودا، أنتخبوا بحرية، يشتركون بحرية في حكومة ثانوية، إضافية، ويكملونها، ويطورونها، ويتقنونها بحرية، وبالحرية نفسها يسلمون السلطة إلى البرجوازية، الأمر الذي لا «يخالف» البتة النظرية الماركسية، لأننا عرفنا دائما وأوضحنا مرارا إن البرجوازية لا تبقى بواسطة العنف وحسب، وإنما تبقى أيضا بفضل رتبة الجماهير، وهمود همتها، وعدم وعيها، وعدم تنظيمها. أمام هذا الواقع الراهن، من السخف حقا أن ندير ظهورنا للوقائع الفعلية وان نتحدث عن «الإمكانات» من الممكن أن يأخذ الفلاحون جميع الأراضي وكل السلطة، ولكني لا أنسى هذه الإمكانية ولا أقفي في اليوم الحالي فقط، بل أصوغ البرنامج الزراعي واضحا دقيقا، أخذا بعين الاعتبار واقعا جديدا، هو انفصال الأجراء الزراعيين والفلاحين الفقراء عن الفلاحين أرباب العمل، انفصالا اعمق. ولكن ثمة إمكانية أخرى متوفرة: فقد يصغي الفلاحون إلى نضائح حزب الاشتراكيين- الثوريين، حزب البرجوازية الصغيرة، الذي يخضع لتأثير البرجوازية، والذي انتقل إلى موقع الدفاع عن الوطن، والذي يوصي الفلاحين بالانتظار حتى انعقاد الجمعية التأسيسية، رغم أن موعد انعقادها لما يحدد! من الممكن أن يبقى الفلاحون، أن يواصلوا المساومة الشكلية، بل الفعلية أيضا التي اجروها اليوم مع البرجوازية عن طريق سوفيينات نواب العمال والجنود. شتى الفرضيات ممكنة، ومن فادح الخطأ أن ننسى الحركة

بصراحة بتجربة كومونة باريس، والحال، إن هذه التجربة، كما هو معروف، وكما اثبتت ماركس بدقة في ١٨٧١، وانجلس في ١٨٩١، قد نفت البلانكية إطلاقاً، وضمنت إطلاقاً سيطرة الاغلبية والمباشرة، الفورية، غير المشروطة، وكفلت نشاط الجماهير متناسبا فقط مع نشاط هذه الأغلبية الواعية.

استخدمنا تعريفا غير مستمد من اللغة اليومية، من لغة رجل الشارع، من اللغة المهنية، إذا استخدمنا تعريفا طبقيا. لقد تجنبنا إطلاقاً، في موضوعاتي كل احتمال بالقفز من فوق الحركة الفلاحية أو البرجوازية الصغيرة بوجه عام، التي لم تستنفد وسعها، كل احتمال بلعب لعبة «اخذ السلطة» من قبل حكومة عمالية، كل مغامرة بلانكية أيا كانت، إذ أني استشهدت

احكي يا شهرزاد فأنت في عصر الظلام

طارق فتحي

الجعفري «البيدوفيلي» الذي أرادوا به تشريع زواج الفتيات الصغيرات، الى مشروع التعديلات على المادة «٥٧» من قانون الأحوال الشخصية، الذي يريدون به سحب الحق بحضانة الطفل من المرأة.

هذا على صعيد السلطة، اما العشائر فقد سمح الإسلاميون لها بإرجاع كل العادات والأعراف الاقطاعية البالية، فعمليات القتل بداعي الشرف منتشرة بشكل كبير، دون محاسبة او معاقبة، بل ان حالات التراخي «الفصل» بين العشائر المتحاربة -خصوصا في الجنوب- تنتهي بإعطاء مجموعة من النساء للعشيرة المعتدى عليها، غير عمليات «النهو» التي تجعل المرأة وقفا لشخص محدد «ابن العم»، غير عمليات الاتجار بالنساء في أماكن معينة في بغداد «البتاوين، الطوايل، الملاهي»، غير شبكات المافيات التي تخطف النساء وتنتشرهن في الشوارع «للجدية»، غير تلك المناظر المؤلمة لنساء يعملن في «مقالع النفايات»، غير تلك الحملات الدموية بين فترة وأخرى التي تقوم بها الميليشيات؛ الإسلاميون اكثر من ظلم المرأة، اكثر من كل اشكال الحكم التي مرت على العراق.

تبقى خيرية، بطلة قصة غائب تنادي «عمي عبرني» لكن الواقع المأساوي الذي تعيشه خيرية سوف يتغير إذا استطاع الجانب المشرق والايجابي من الجماهير ان يعيد انتفاضته ويكنس سلطة الإسلام السياسي وكل العشائريين، تستطيع خيرية ان تعبر الى الحرية والمساواة التامة والعيش الكريم إذا نظمت نفسها وقاتلت بشكل جماعي، إذا استمرت ان تحكي قصصها وتروي اوجاعها.

((خيرية. هاي گاعده دتجپين؟! خاطر العباس أبو راس الحار متگليلي اشبيج اليوم؟ أخاف غرگت البساتين اللي خلفها ملعون الصفحة ابوچ)) من احدى قصص غائب طعمه فرمان.

هو واقع مرير يعيشه الانسان في العراق، باختصار هو محروم من الحق في الحياة، انه يعتبر الأيام والشهور والسنين التي يعيش فيها وكأنها فترات زمنية مرغم ان يعيشها، أصبحت الحياة لا تعني له شيئا، عمره هو زمن يجب عليه ان يقضيه، شبه حي؛ نفسيته منهارة تماما، محبط، منكسر؛ تغيير الأوضاع صار لديه حلما كبيرا، بسبب شدة القمع من سلطة فاشية، ظلامية، رجعية ومتخلفة.

انها حكاية لشعب يزرع تحت نير الإسلام السياسي؛ في قلب تلك الحكاية المؤلمة تقبع هناك قصة أكثر ايلاما وبؤسا، أكثر حزنا وسوادا، انها قصة المرأة في العراق، فهي قد نالت الجزء الأكبر من العذاب؛ من يستطيع ان يتخيل او يوصف واقع المرأة في عصر ظلامي كهذا، في بلد فيه الحكم إسلامي ميليشياتي وعشائري.

تكبر مأساة المرأة يوما بعد آخر، فسلطة الإسلاميين الذكورية تفرض عليها تراجعا في كل الاتجاهات، انها تسلبها كل الحقوق التي ناضلت، ولعقود عديدة لنيلها، هي اليوم في قلب القرن الإسلامي، الذي يريد، وبكل قوة، صهرها وتذويبها؛ فها هي مشاريع قوانينهم التي يريدون سننها في برلمان الذكورة المقيت، برلمان النهب والسلب والخراب، بدءا من مشروع قانون «١٣٧» لعبد العزيز الحكيم في ٢٠٠٤ الذي أراد فيه الغاء القانون «١٨٨» لسنة ١٩٥٩ المتقدم جدا، مرورا بمشروع القانون